

روح المعاني

أصحاب السعير الدال على الأصالة على غيره من التوابع وذكر أن في هذا التغلب إجازا وهو ظاهر ومبالغة أي في الإبعاد إذ لو أفرد كل من الفريقين بالذكر لأمكن أن يتوهم تفاوت الإبعادين بأن يكون إبعاد الكفرة دون إبعاد الشياطين على ما يشعر به جعلهم الشياطين أصيلا وأنفسهم ملحقة بهم فلما ضموا إليهم في الحكم به دل على أن إبعادهم لم يقصر عن إبعاد أولئك وأيضا لما غلب سبحانه وتعالى أصحاب السعير وهم الشياطين على الكفار فقد جعل الكفار من قبيل الشياطين فكأنهم هم بأعيانهم وفيه من المبالغة ما لا يخفى وتعليلنا فإن ترتب الحكم على الوصف وكذا تعلقه به يشعر بعليته له فيشعر ذلك بأن الإبعاد حصل لهم لأجل كونهم أصحاب السعير وقيل في توجيه التغليب وما فيه من الأمور الثلاثة غير هذا وقد عد ذلك من المشكلات وغدا معتركا لعلماء الروم وغيرهم من العلماء الأعلام ولعل ما ذكرناه أقرب إلى الأفهام وأبعد عن النزاع والخصام فتأمل وإنا نرجو أن يوفقنا الله تعالى إلى الإفهام .

إن الذين يخشون ربهم بالغيب أي يخافون عذابه غائبا عنهم أو غائبين عنه أو عن أعين الناس غير مرأين أو بما خفي منهم وهو قلوبهم . لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وأجر كبير لا يقادر قدره وتقديم المغفرة على الأجر لأن درء المضار أهم من جلب المنافع والجملة المذكورة قيل استئناف بياني .

وقوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا به خطاب عام للمكلفين كما في قوله أولا ليبلوكم عطف على مقدر قال في الكشف أصل الكلام وللذين كفروا منكم أيها المكلفون المبتلون وللذين يخشون منكم فقطع هذا الثاني جوابا عن السؤال الذي يقتر من بيان حال الكافرين مع أن ذكرهم بالعرض وهو ماذا حال من أحسن عملا ومن خرج ممحضا عند الإبتلاء فأجيب بقوله تعالى إن الذين يخشون الخ فأثبت لهم كمال العلم إنما يخشى الله من عباده العلماء وكمال التقوى لقوله تعالى بالغيب وفي هذا القطع ترشيح للمعنى المرموز إليه في قوله تعالى أيكم أحسن عملا أي ليبلوكم أيكم المتقي تخيصا لهم بأنهم المقصودون ولو عطف لدل على التساوي ثم قيل فاتقوه في السر والعلن ودوموا أنتم أيها الخاشعون على خشيتكم وأنيبوا إلى الخشية والتقوى أيها المغترون واعتقدوا استواء أسراركم وجهركم في علم ربكم فكونوا على حذر واخشوه حق الخشية فقوله تعالى ذلك عطف على هذا المضمهر وجوز أن يجعل قوله تعالى إن الذين الخ استطرادا عقيب ذكر الكفار وجزائهم وقوله سبحانه وأسروا أو اجهروا على سبيل الإلتفات إلى أصحاب السعير لبعد العهد وزيادة الإختصاص عطفا على قوله تعالى وللذين كفروا كأنه قيل وللکافرين برهم عذاب جهنم ثم قيل من صفتها كيت وكيت وإسراركم بالقول وجهركم

به أيها الكافرون سيات فلا تفوتونا جهنم بالكفر والبغضاء أو أبطنتموها فهو من تتمّة الوعيد ثم قال والأول أملاً بالقبول انتهى ويظهر لي بعد الأول ويؤيد الثاني ما روي عن ابن عباس أنه قال نزلت وأسروا الخ في المشركين كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيوحى إليه E فقال بعضهم لبعض أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد ف قيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإن الله تعالى يعلمه وتقديم السر على الجهر للإيدان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من أول الأمر والمبالغة في شمول علمه D المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أو مبادئه مضمرة في القلب غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية .

وقوله تعالى إنه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الإستغراق ووصف الضمائر بصاحبها من الجزالة ما لا يخفى كأنه قيل أنه D مبالغ في الإحاطة بمضمرة جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم